الدنيا وأحوالها

الدنيا وأحوالها

يقول الله سبحانه وتعالى :

" قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا [١]"

فنرى الله عزوجل قد وصف الدنيا بأنها متاع قليل والإنسان فيها يحصل من ذلك القليل قليلا وذلك القليل إن هو تمتع به فهو لعب ولهو لقول الله سبحانه

" أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ) [٢]

يقول سبحانه :" وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ "[٣]

ومعنى أن الدار الآخرة هى الحيوان يعنى الحياة الدائمة الخالدة المستمرة ، وهى بلا ريب خير من الأولى .

قال تعالى :" وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ " [٤] ويقول ابن عيامن رحمه الله "لو كانت الدنيا ذهبا يفنى ، والآخرة خزفا يبقى ، لوجب علينا أن نختار مايبقى على ما يفنى .والمتأمل فى الحياة الدنيا يجد أن كل ما فيها ظل زائل وعارية مستررة ، وتأمل ما أعطيه سليمان عليه السلام فقد ملك الدنيا من إنس وجن ، وتسخير الريح والطير

١ - سورة النساء :الآية:٧٧.
٢ - سورة الحديد : الآية :٢٠.
٣ - سورة العنكبوت : الآية :٦٧.
٤ - سورة الضحى الآية :٤.

والوحوش ثم قال الله تعالى :" هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ" (١) ومع ذلك لم يعدها نعمة ، وخشى أن يكون ذلك مستدراجًاله فقال :" هَـٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ" (٢) وعن ابن معاذ قال :" الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب ، فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال :" ركوب إلى الدنيا (٣)، وهمَّ عدو ، وحسد أخٍ وحب شرف .وعن النبى عليه السلام أنه قال لعلى رضى الله عنه:

ياعلى أربع خصال من الشقاء :"جمود العين ، وقسوة القلب ، وبعد الأمل ،وحب الدنيا "ويعنى بجمود العين عدم البكاء من خشية الله ، وانعدام البكاء دليل على قسوة القلب ،وقسوة القلب دليل على الطموح و الأمل ، والتعلق بالدنيا وحبهّا فالخير كله يكمن فى الزهادة فى الدنيا ، والدنيا من الدنايا كما أن الشر مفتاحه حبُّ الدنيا :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ... لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصًا و أصواتًا يخالف بعضها ... لبعض وأشكالاً بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة (٤) ... وتفنى جميعًا والمحرك باقى

ويقول شرف الدين بن أسد :

يامن تملك ملكاً لابقاء له ... حملت نفسك أثامًا وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وإن غربت ... إلاكطيف خيال فى الكرازارا(٥)

١ - سورة ص :الآية : ٣٩.
٢ - سورة النمل : الآية ٤٠.
٣ - المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشهى .ص٢.ص٨٠٧ وما بعد ط دار الجبل –بيروت لبنان ١٤١٣س١٩٩٢.
٤ - بابة بعد بابة : يعنى مرة بعد مرة .
٥ -.ذاته ص: ٨٠٨ .

وقال أخر :

فإن كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن بأنك لا تبقى إلى أخر الدَّهر

وقد أصاب ابن السماك حين قال للرشيد وكان بيده شربةمن ماء :"ياأمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم فقال له ياأمير المؤمنين :لو أنك شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له :لاخير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة .

وقال وهب بن منته:" خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك .فقالوا يابنى اللهإنا جياع .فأوحى اللّٰه تعالى أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون و يأكلون ، فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول :" زرعى ، وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبإذن من تأكلون ياهؤلاء فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن أدم [1] إلى تلك الساعة فإذا عند كل سنبلة ماشاء اللّٰه من رجل وامرأة يقولون :" أرضنا ورثناها عن أبائنا و أجدادنا فقر الرجل منهم وكان قد بلغ أمر عيسى عليه السلام ولكنت لا يعرفه .فلما عرفه قال لعسى معذرة إليك يابنى اللّٰه إنى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك ، فبكى عيسى عليه السلام وقال للرجل : ويحك ، هؤلاء كلهم ورثوها و عمروها ثم ارتحلوا عنها ، وأنت مرتحل عنها ولا حق بهم وليس لك أرض ولا مال .

وروى أن على بن أبى طالب رضى اللّٰه عنه[2] :" ولما رجع من اصفيين" ودخل أوائل الكدفة رأى قبراً . فقال :" قبر من هذا ؟ فقالوا له : هو قبر خباب بن الأرت .رضى اللّٰه عنه فوقف عليه وقال :"رحم اللّٰه خبابا أسلم راغبا ، وهاجرا طائفا ، وعاش مجاهدا، وابتلى فى جسمه أفراد ألا وإن اللّٰه لايضيع أجر من أحسن عملا " ثم مشى فإذا هو بقبور فوقف

١ - ذاته ص: ٨١٠.
٢ - ذاته ص: ٨١٤.

عليها :" السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال القفرة أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون .

اللهم اغفر ولهم وتجاوز عنا وعنهم ، طوبى لمن ذكر الميعاد وعمل ليوم الحساب، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله تعالى ، ثم قال " ياأهل القبور ، أما الأزواج فقد نكحت ، وأما الديار فقد سكنت ، وما الأموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ؟ ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم :" أما أنهم لو تكلموا لقالوا :وجدنا خير الذاد والتقوى :"

الاحتضار

الاحتضار

قد وردت الأحاديث صريحة تنبئنا بأن المرض يكفر السيئات ويمحو الذنوب ويغفر الذلات ، فلقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :- (مَنْ يرد الله به خيرا يُصبْ منه) وعنهما أيضا يعنى البخارى و مسلم أن النبى صلى اللع عليه وسلم قال :(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هّم ولا حزن ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) ويروى لنا البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :" دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوْعَك فقلتُ يارسول الله : إنّك توعك توعكا شديداً، (١) قال صلى الله عليه وسلم :" َأجَلْ " إنى أُوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك أجرين ، قال عليه السلام : أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها .وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ، من حيث أتتها الريح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأَرْزَة، صماء معتدلة ، حتى يقصمها الله إذا شاء .

بعد هذه الأحاديث التى سقناها للقارىء المسلم والتى تبشر المريض كما فهمنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفة الذكر يكفر الذنوب ويمحو الخطايا ، ويغفر الذلات ، ويطمث الهفوات وخاصة إذا صاحب ذلك المرض صبر من المريض ، فلا يتضجّر ولا يتبّرم ولا يتسخّط متمثلا تلك المعانى الإسلامية عن طريق تجسيدها من فؤاده وبالأعتقاد فى قلبه ، والإيمان أن المرض ، مكفر الذنوب إذا صاحب ذلك المرض صبر جميل لأنه ابتلاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : " أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل

١ -.الوعك و الوعكة : هى حرارة الحُمَّى وألمها ، ويقال وعكة المرض ..

فالأمثل".فعلى المريض أن يصبر على مايحلّ بساحته من آلام .فلقد روى مسلم عن صهيب ابن سنان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته َضرّاء صبر فكان خيرا له . وروى البخارى عن أنس قال : " سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول :"إذا ابتليت عبدى بحبيتيه فصبر عوضته عنهما الجنةّ والمراد بحبيتيه " عينيه " ، وسميت العين حبيبة لأنها أحبّ عضو فى جسم الإنسان للإنسان ، والإبتلاء هو الاختيار والإمتحان ومع هذا فإنه يجوز للمريض الشكوى إلى الطبيب والصديق للتدّاوى ، والتسرية الهمّ عنه ، ورفع الضر عنه فقد خلق الله الدّاء ، الدّواء ، فالإسلام يأمرنا بالتداوى فهو دين مَرِنٌ يُوَاكب كل الأعصر ، ويناسب كل الأزمنة .

وقبل أن يشكو المريض ، ينبغى عليه أن يحمد الله عزوجل بيد أن الشكوى إلى الله سبحانه مشروعة ، فقد شكى شكى إلى ربه ضرّه ، سيدنا " يعقوب "فقال : قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١)" وقال تعالى " وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ(٢)" وقال تعالى فى شأن أيوب وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ"، (٣) ولقد شكى النبى صلى الله عليه وسلم -إلى ربه ضعفه وظلم النّاس له ، فقال عليه السلام حينما رجع من الطّائف كَسِيرَ القلْب ، مفطُور الفؤاد وقد

١- سورة يوسف : الآيه ٨٦ .
٢- سورة يوسف : من الآية ٨٤
٣- سورة الأنبياء : الآية ٨٣-٨٤ .

ذهب ليدعو أهل الطّائف فما كان منهم إلا أن أغروا به سفهاءهم ، وعبيد هم ، وغلمانهم فاصطفوا يرشقونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، ويحثون التراب فى وجهه الشّريف .

فاتكأ إلى جدار حائط " لعتبة وشيبة ابنى ربيعة " ومد بصره إلى السماء مخاطبا ربّه عزو جل (اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى)ولقد ثبت أن المريض يكتب له ما كان يفعله من الطاعات وهو سليم معافى ، فلقد روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم قال : إذا مرض العبد أو سافر ، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً والاحتضار نزول الموت بالإنسان ، يقول صاحب اللّسان (وحُضِرَ المريض واحُتِضَر إذا نزل به الموت : وفى الحديث أنهّ عليه الصلاة و السلام ، ذكر الأيام وما فى كل منها من الخير و الشّر ثم قال : (والسبت أحْضَرُ إلا أن له أشطرا أى هو أكثر شرّا ، وهو أفعل من الحضور ومنه قولهم :(حُضِرَ فلان واحتضر إذاَ دَنا موته .وقول النبى صلى اللّٰه عليه وسلم :إلا أن له شطرا"أى خيراً مع غيره مع شرّه .ومن (حلب الدهر أشطره) أى نال خيره و شره)[1]

ما يجب فعله بالمحتضر ؟

يسن أن يوجّه من حَضَرتْه الوفاة إلى القبلة ، وذلك بأن يُجعل المحتضر على جنبه الأيمن ، ووجهه لها إن لم يكن ذلك صعباً ، أو أمراً غير ميسور ، وإلا وضع على ظهره ورجلاه إلى القبلة ويرفع رأسه قليلاً ليصير إليها ، خلافاً للمالكية الذين يقولون إن ذلك مندوب وليس بسنّه ، ويستحّب أن يلقّن الشهادة وذلك بأن يُذْكَر عنده حتى يقولها ، ولكن لا يأمر بها خشية أن يتلفظ بألفاظ تخرجه عن الحقّ ، والصّواب ، وخاصّة إذا كان يعانى من مرض صعب ، فيكتفى بذكرها عنده وهى " أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه

١ - لسان العرب لابن منظور - ط دار المعارف – مادة (حضر)ص ٩٠٨ .

"وذلك لقوله صلى اللّه عليه وسلم : " لقنوا موتاكم لا إله إلا اللّه " فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنْجَتْه من النّار" ولقوله عليه السلام : " من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة " ومنهىّ عن الإلحاح على المحتضر لينطق بالشهادتين مخَافَة الضّجر والتفوّه بما لا يليق ،ى وعدم النطق بالألفاظ التى تدخله فى دائرة الحرج من الناحية الإيمانية وخشية أن يرفض النطّق بها قائلا (لا) أو لا أنطق بها ، أو غير ذلك من الألفاظ التى توقعه فيما يغضب اللّه عزّو جّل كما يستحب تلقينه بعد الفراغ منَ دفْنِه ، وتسوية التّراب عليه .

كيف نلقّن الميّت ؟

وكيفية تلقين الميّت ، بأن يقول الملقّن مخاطباً الميّت الذى دفن وسوى التراب عليه (يافلان ابن فلانة إن كان يعرفه ، ويعرف أمّه وإلا يقول : (يافلان ابن حوّاء عليها السّلام) أذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا ، وهو (شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه) وأن الجنةّ حق ، وأن النّار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن اللّه يبعث من فى القبور ، وأنك رضيت باللّه رباًّ ، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى اللّه عليه وسلم نبياّ، وبالقرآن إماما ، وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخوانا . (١)

ما يجب فعله بالمحتضر

ويندب الشارع الكريم ، أن يدخل على المحتضر حال احتضاره أحسن أهله وأصحابه ، وكثرة الدعّاء له وللحاضرين ، كما يندب إبعاد الحائض والنفساء والجنب وكل شىء تكرهه الملائكة .مثل (آلة اللهو) ويندب أن يوضع عنده طيب أى عطر ، أو نجور رائحة عطره ، أو أى نوع آخر من أنواع العطور كالمسك ، والبرفان ، وما إلى ذلك من أنواع العطور حتى يكون المكان الذى يرقد فيه المحتَضِر له رائحة عطره لآن الملائكة تحضره

١– الفقه على المذاهب الأربعة –الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م ص ٤٦٠.

والملائكة تكره الرائحة الكريهة ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الرائحة الذكية .

كما يستحبّ أن يقرأ عنده سورة (يّس) ما من مريض يقرأ عنده(يّس) إلا مات وهو ريّان وهو عدم العطش وأدخل قبره (ريّان) وحشر يوم القيامة (ريّان) [1] يندب للمحتضر أن يحسن ظنّه بالله تعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم .ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، أنه يرحم ويعفو عنه) وفى الصحيحين قال الله تعالى :(أنا عند ظن عبدى بى) .

يندب لمن يكون عند المحتضر أن يحمله على تحسين ظنهّ بالله تعالى ويسّن تغمض عينيه خلافاً للمالكية فقد قالوا :تغمض العينين عقيب الموت مندوب ، كما أن الدّعاء الذى سنذكره ليس بمطلوب لديهم وهو (أن يقول مغمّضه:(بسم الله وعلى ملّة رسول الله اللهم اغفر له وارفعه درجة فى المهديّين ، وأخلفه فى عقبه فى الفائزين ، واغفر لنا وله ياربّ العالمين ، وفسح له فى قبره ونوّر له فيه) وقد روى هذا عن النبى عليه السلام لما أغمض أبا سلم [2] رضى الله عنه .

١– رواه أبو داوود .
٢– رواه أبو داوود ص ٤٦١ .

الــمــوت

الـمـوت

إن الدنيا خدَّاعة ،َغرَّارة ، تُعْطِى لتأْخذ ، وتجمع لتُفرّق وَتُحْلِى لِتُمِّر ، وإنهّا لَتفرغ فى القلوب أكئوساً من الحزن بقدر ما تصّب فيها من صُبور و سرور.

هــى الــدنيا تقــول بمــلء فيهــا حذارى حَذَارى من بطشى وفتكِى
فــــلا يْغُــــرْركم منّــــى ابتســــام ◌َفقَوْلِى مُضحك والِفعْلُ مبْسكِى

ويقول آخر :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت بانيَها
فإن بناها بخير طاب مسكنُه وإن بناها بشّر خاب بانيهاَ
فاعمل لدارٍغداً رضوان خازنها فالجار أحمد والرحمن ناشيها

من الحقائق الثابتة التىلاينكرها أحد سواء أكان مسلماً أم كافرا (حقيقة الموت) فمهما عَمّر الإنسان فى هذه الحياة الدنيا لا بدّ من أنه سيموت ، ولابد لكل نفس أن تذوق طعم الموت ، وأن تتجرع كأس المنوُن ، يقول الحق سبحانه (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ)(١)

يقول أهل العلم :(إن الغرور هو الشيطان ، لأنه يغرو بالإنسان ، ويزيّن. القبيح حسنا ، "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٢) " فيجره إلى المعاصى ، وبذلك يكون قد غروّ به وأوقعه فى معصيه الله عزوجل ، وقيل إن الغرور:" هو

١– سورة آل عمران الآية ١٨٥ .
٢–سورة فاطر الآية ٨.

الأمل حيث إن المؤمّل فى الحياة الطامع فيها ، المنهمك فى لذاتها ، المشغول بها ، الذى ملكت عليه أقطار نفسه كل ذلك يجره إلى معصية الله أيضا فواجب على المسلم أن يكون معتدلا فى حياته ، وفى كل أعماله ، وجميع تصرفاته وخاصة فى عبادته لله عزوجل فيعمل للدنيا والآخرة بحيث لا تطغى كِفّه على آخرى ، قَد بُيِنَا دينُ العدالة والاعتدال ، كما أنه أمرنا بالعمل للحياتين (الدنيا والآخرة) قال تعالى :(وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)(١). ومن المأثور " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لو كانت القيامة وفى يد أحدكم فَسِيَلَةٌ فليغْرِسْهَا " وقيل إن الغرور : هو الدنيا حيث إن الناس فى شغل شاغل منها ، فيجرُون وراء ملذاّتها وينخدعون بشهواتها ، ويلهثون وراء بَهْرَجِها الكاذب ، وزخْرفها الخدّاع ويلهثون وراءها حتى تنقطع أنفاسهم ،فيلقون الله وهم الخاسرون واليعاذ بالله تعالى .

فى رأينا أن الغرور سواء أكان الشيطان أو الدنيا أو الأمل فالثلاثة مجتمعة تدور فى فلك واحد ومعنى متحّد وغايتهم واحدة ، حيث إن الآية تتغيّا غاية سامية وهى أن الدنيا متاع الغرور ، وما هى إلا مَعْبَر للآخرة ، ومزرعة لها ، وحذرّ القرآن من الإمتنان أو الإنخداع ، ولذلك يقول الحق سبحانه " وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ " (٢)وفرحوا بالحياة الدنيا فى الاخرة الا

١- سورة التوبة : الآية ١٠٥ .
٢- سورة الرعد الآية ٢٦.

متاع "أو المتأمل فى هذه الآيه بستشفُّ معنى سامياً ، وعظيماً وهو (وما الحياة الدنيا فى الآخرة) ؟!يعنى ما قيمتها ، وما وزنها وما فائدتها ، ماهى فى الآخرة إلا شىء لا وزن له ولا يُعبأ به وذلك بالنسبة لمايلاقيه المسلم فى الدّار الآخرة من صنوف النعيم من فواكه كثيرة ، وحُور عين ، وولدان مخلدون ، وأكواب وأباريق وكأس من معين ، حيث إن الملائكة يمّرون على أهل الجنة بالثمار و يقدمونها لهم فيقول أهل الجنة للملائكة : " لقد أكلنا من هذه الفاكهة قبل ذلك ، فيردّ الملَكُ عليه قائلا : " كُلْ فإنّ اللّون واحد ولكنّ الطعم مختلف ودايل ذلك قول الحق سبحانه : (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)(١) والمقصود بالأزواج المطهرة فى الآية الكريمة (الحور العين) اللائى قال فى وصفهّن رسول الله صلى الله عليه و سلم :

(لو ابتسمت إحداهنَّ لأضاءت مابين المشرق و المغرب ، ويقول الله تعالى عنهنّ : (مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ)(٢)

ويقول تعالى :(فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ)(٣) ويقول تعالى (كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ)(٤)

١-.سورة البقرة الآية ٢٥.
٢-.سورة الرحمن الآية ٧٢.
٣-.سورة الرحمن الآية .٥٦.
٤-.سورة العنكبوت الآية ٥٨.

وهنا قالت الملائكة : لن نموت ، لأن الله تعالى يقول : كل نفس ، ولسنا بأنفس وفعلاً حقّ لهم ذلك لأن الملائكة أجسام نوارنية يعنى أنها مخلوقةمن نور ، قادرة على التشكل بأشكال حسنة ، مبتعدة عن كل شكل قبيح ، بخلاف الشياطين فهم أجسام نارية يعنى أنها مخلوقة من نار ، قادرة على التشكل بأشكال حسنة ، وأشكال قبيحة ، فتارة تراه فى ثوب رجل صالح ، وتارة أخرى تراه فى صورة حيوان شرس ، أو خمار ، أوقرد وخاصة المَردَة منهم أى الخبثاء ، الذين يظهرون لتخويف النّاس ، وإرعابهم ، وقذف الرّعب فى قلوبهم .

فأنزل الله قوله سبحانه (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)(١) فقالت الملائكة : إذن لن نموت ، فإن الله تعالى يقول :" كل من عليها فان " أى على الدّنيا ولسنا عليها فنحن نسكن السماوات العلا ، ةلا نتنزّل إلا بأمر من ربنا ، فأراد الله عزوّجلّ، آن يحسم أماع الملائكة فى البقاء ، وأن يقطع أمل كل مأمّل فى الخلود ، فأنزل الله قوله سبحانه (تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(٢) عندئذ عرفت الملائكة كما عرف غيرهم أنه لا بقاء إلا لله سبحانه ، وأن الجميع فانٍ ، حيث جاءت لفظة (شىء) نكرة ، والنكرة عند أهل اللغة (مادلت على شىء غير معين)

فالسماوات شىء ، والأرض شىء ، والجبال شىء ، والنجوم شىء ، والكواكب شىء والإنسان شىء، ووالحيوان شىء ، والكرسّى شىء ، والعرش شىء ، واللوح شىء وكل ما خلق الله عزوجل يسمى شيئاً .

١- سورة الرحمن الآية ٢٧.
٢- سورة القصص الآية ٨٨ .

فكان الحكم فى الآية الكريمة جامعاً ، لكل ما خلق الله، وبمعنى أدقّ ، ماعدا الله فهو شىء، إذن ماعدا الله فهو هالك ، رضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً و رسولا.

وقضية الموت من القضايا التى لا يختلف فيها اثنان ، بل هى من المسلّمات ولا ينكر ذلك أحد من جميع الأديان .فكل إنسان من أية ملّة إذا سألته قائلاً : ما رأيك فى قضية الموت ؟ أجابك بقوله : ذلك أمر محتوم .ولا ريب فى أننا جميعاً ميتّون .

يقول الثناء :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

ونرى الصحابى الجليل ، والشاعر الفارس ، والأديب القائد ، (عبد الله أبى رواحه)رضى الله عنه : يقول فى هذا المعنى حينما تولّى قيلدة الجيش بعد استشهاد القائدين قبله وهما (زيد بن حارثة ، (جعفر بن أبى طالب) .فقال رضى الله عنه :

يا نفس إلاّ تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليتِ
وما تمنيت فقد أعطيت أن تفعلى فعلها هديتِ
أو تبتلى فطالما عوفيت وإن تأخرت فقد شفيتِ
أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو فلتكرهنه
إذا أجلب الناس وشد الرنه مالى أراك تكرهين الجنة
وطالما كنت مطمئنة هل أنت إلاّ نطفة من شنه

ومن توجيهات رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم – أنه خطب الناس ذات يوم مُحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أيها الناس : إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية ما تنتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ماالله

صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ماالله قاض فيه .فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار"

هذه الخطبه على وجازتها جاءت بمعان سامية و غزيرة و شىء يعجز عن الإتيان بمثلها أفصح الخطباء وأقوالهم ولا عز فالخطيب رسول الله عليه الصلاة و السلام : إن لله عزو جل معالم جلية ، ومنهج بيّن واضح فالإسلام بتعاليمه السّاميه ، وأوامره السامية ونواحيه التى لا لبس فيها ولا غموض ، والتى أجلت طرائق الخير ودعت إليها ، وبنيت طرائق الشر ونهت عنها ، وبما جاء به من مبادىء قويمة ، وتعاليم سوية يضع أمام البشرية جمعاء ، الدلائل التى ترشدهم إلى الحق والخير ، وتعرفهم بالضّال منها والمنحرف ، أو المستقيم فكان واجباً على الناس الاسترشاد بما جاء به الإسلام الحنيف ، وأن يترسموا هديه البّين ، وقد أقام الله سبحانه للناس حدوداً أو نهايات للوقوف لديها فى كل أعمالهم وأقوالهم ، وتصرفاتهم ثم يلقى النبى صلى الله عليه وسلم الأضواء الكاشفة على موقف الإنسان فى الحياة الدنيا مبيناً أن المرء بين أجل قد مضى لا يدرى ماالله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه ، وبسبب هذا كان العبد بين مخافتين ، فالأمر يتطلب اليقظة و العمل الءوب حتى يكون بمنجاة من سخط الله عزو جل ، ثم نرى سيد الخطباء ينتقل بعد ذلك إلى تبيان ما يجب على العبد أن يسلكه فى حياته ، وهو أن يكبح جماح نفسه مما تحبه ، وتغريه بارتكابه وأن يبادر إلى الطاعات ، وفعل الصالحات والنأى عن ارتكاب المنكر ، واقتراف السيئات ، مغتنما الشباب فى تحصيل البرو الحسنات ، قبل أن يطعن فى السّن ويخط الشيب رأسه .

وينذره الهرم بالفناء ، وأن يغتنم الحياة الدنيا ، فيعمل بجد وإجتهاد فيها ما يقربه إلى الله سبحانه ، قبل فوات الأوان ، وإدراك الموت له ، ثم يختم الرسول عليه الصلاة و السلام خطبته هذه بقسم يؤكد الكلام الذى ساقه من قبل اعتبارًا وعظة ، وتنبيهاً وإرشاداً أن الإنسان إذا مات إنقطع رجاؤه وانتهى أمله ، ودفنت معه فى التراب آماله وطموحاته حيث لا فرصة لتداول ما فات .لقوله صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمل إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "ولا يصبح أمامه شىء سوى الثواب أو العقاب ، فله جزاء الجنة إن كان مطيعا ، وجهنم يصلاها إذا كان عاصيا مسيئاً. (١)

يقول سرى القطى " مررت على القبور يوماً فوجدت " بهلول المجنون " يجلس بين المقابر وقد دَلَّى رجليه يعبث بأصابعه فى التراب فقلت له : يا بهلول ما أجلسك بين المقابر مع الأموات ....

فقال : أجلس بين قوم لا يؤذوننى ، وإن غبت عنهم لا يغتابونى ، ثم أنشد قائلا :

يا مَنْ تمتّع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه (٢)

١- قطوف من ثمار الأدب الإسلامى / للمؤلف ص١٧٦. الدار العربية اللبنانية .
٢- صفة الصفوة المجلد الأول .

سَكَراتُ الـموت

سَكَراتُ الموت

يقول صاحب اللّسان:" وسكرة الموت (شدّته) وقوله تعالى (وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ) [1] وسكرة الموت (غشيته) التى تدل الإنسان على أنه ميّت وقوله تعالى (بالحقّ)يعنى الموت الحقّ. [2]

وسكرات الموت ، وشدّتها ، وعِظَم أهوالها لو فَطِنَ المسلم إليها ، وتأمّل ما يحدث معه من عذاب وشدّة ، وهول و كرب لوأن المسلم تذكر ذلك لكان جديراً بأن ينغّص عليه عيشه ويكدّر صفوه ، ولطال تأمّله ، وَلَزهَدَ الحياة الدنيا ، ويقول بعض الحكماء فى هذا المعنى (كَرْبٌ بِيَدِ سِوَاك لا تدرى متى يغشاك وقال لقمان لأبنه وهو يعظه :(يابنىّ أمر لا تدرى متى يلقلك واستعّد له أن يفجأك ، ونسيان الموت و سكراته غفلة من المسلم ، ولهو ولعب ، بل هو ضلال مبين ، يقول شاعر قديم :

صَاِح ثمّر ولا تزلْ ذاكَرالمو تِ فنسيانه ضَلاَلٌ مبينُ

فألم سكرات الموت و النزع ، تحس به جميع أجزاء البدن حيث إن الروح سارية فى البدن سريان الماء فى العود الأخضر إذا اهَصَرْتَه ، وعصرته فى أىّ مكان منه ، وفى أى جزء من أجزائه " نَزَّ ماءً " والروح كذلك تجعل الإنسان يحسّ بالأ لم إذا شكتّه شوكه فى أى جزء من أجزاء جسمه ، وصدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : (إنما مثقل المؤمنين فى توادّهم ، وتراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهّر و الحمّى ، مما يدل دلالة حاسمة على أن الروح سارية فى الجسم كلّه سريان الماء فى العود الأخضر كما أو مأنا إلى ذلك آنفا .وألم النزع يهجُم على نفس الروّح

١- سورة ق الآية ١٩.
٢- اللسان (مرجع سابق) مادة / سكر ص ٢٠٤٧.

و يستغرق جميع أجزائه من مَفْرِق رأسه أشدّ من الضرّب بالسيف ، ونشر المناشير / وقرص المقاريص فالجسم يتألم لأنه متعلق بالرّوح فكيف بك إذا عرفت أن سكرات الموت للروح نفسها ، ومنصُّب كّل الانصباب عليها وتأمل معى ، وسرّح بصرك واقدح زناد فكرك .ولو يتأَمل هذه الحالة عن طريق الخيال ، وذلك بأن نضع ميتاً أمام أعيننا (فى الخيال) ثم ننظر إليه بعين البصر و البصيرة وهو يئن ، ويتألّم ، ويتوجّع ويتأوّه ، وقد تغير لونه / واربدّ وجهه حتى لنحِيّل إلى الناظر أليه أنه رُدّإلى أصله الذى فيه خلق ، وهو التراب .منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ردّ إلى أصل فطرته .

ثم تشاهد بعين البصيرة ، أو بالخيال ، والتأمل فنجد أن لكل عضو من أعضاء المحتضر، سكرة بعد سكرة ، وكُرْبَة بعد كربة حتى تبلغ الحلقوم ، وحينذاك ينقطع نظر الميت عن الدنيا ، وأهلها ويغلق دونه باب التوبة ، وتحيط به واليعاذ باللّه تعلى الحسرة و الندامة(فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ)[1] ويقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إن اللّه يقبل توبة العبد مالم يغرغر ، [2] ويقول مجاهد فى قوله تعالى (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[3]

١- سورة الواقعة الآية ٨٣ : ٨٥.
٢- أخرجه الترمذى وحسن ، وابن ماجه من حديث ابن عمر .
٣ - سورة النساء الآية ١٨.

ويقول مجاهد فى معنى هذه الآية يعنى إذا عَايشَ الرّسل فعندئذٍ تبدون له صفحة وجه مَلَك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت ، وكربته عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم هوّن على محمد سكرات الموت)

ولذلك كان خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت خوفاً عظيماً حتى إن عيسى عليه السلام قال للحواريين : (يامعشر الواريين : ادعو الله تعالى أن يهوّن علىَّ هذه السكرة يعنى الموت ، ويذكر لنا صاحب الإحياء .أن نفراً من بنى إسرائيل مرّوا بمقبرة فقال بعضهم لبعض : (لودعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميّتاً تسألونه فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود ، قد خرج من قبر من القبور فقال : (ياقوم ما أدرتم منى ؟ ! لقد ذقْتُ الموت منذ خمسين سنة ما سَكَنَتْ مرارة الموت من قلبى. (١)

وقالت عائشة رضى الله عنها : (لا أغيط أحداً يهوّن عليه الموت ، بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وروى أنه عليه السلام كان يقول : (اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب ، والقصب ، والأنامل ، اللهم فأعنى على الموت ، وهَوّنه علىّ. (٢)

وقال (شداد بن أوس : (الموت أقطع هَوْل فى الدنيا والآخرة على المؤمنين ، ولو أن الميت بعث فأخبرنا بما حدث معه من سكرات الموت ما التذّ المؤمن بِعَيْش ، ولا سَعدبحياة ولا نوم وقالت (فاطمة الزهراء)رضى الله عنها : (واكرباه لكربك يا أبتاه ! وهو يقول لها عليه السلام:- لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم)

١ - الأحياء ص٤ص٤٢٠ط دار الصابوش.
٢ - أخرجه البخارى من حديث أنس بلفظ (واكرب أبتاه) وفى رواية لابن خذيمه (واكرباه)

وهذا دليل على أن الميت المسلم بخير بعد اجتيازه هذه المرحلة (مرحلة سكرات الموت .فإن الله تعلى قد يشدّد على المسلم سكرات الموت ، ليرفع بذلك درجاته فى الجنةّ ولذلك قال الرسول عليه السلام : (لابنته (لا كرب على أبيكِ بعد هذه اللحظة).

أيها الأخ المسلم هذ سكرات الموت ، وشدّتها وهو لها وفظاعتها و شناعتها على أولياء الله و أحبابه ، فكيف بِنَا ونحن المقَصّرون وعلى الدنيا متكالبون ، وفيها منهمكون وفى الملذاّت والمعاصى غارقون ؟ !

دواهى الموت :

إعلم أيها الأخ المسلم أن دواهى الموت ثلاث :-

أولا : شدة نزع الرّوح وخروجها من البدن ، وصعودها إلى بارئها سبحانه تعالى .

ثانيا : مشاهدة المحتضر لصورة مَلَك الموت ، ودخول الخوف والهلع ، والفزع ، والرّعب فى قلب المحتضر حتى يذوب ذوباناً .

ثالثاً ، والداهية الثالثة ، مشاهدة العصاة لمواضعهم ، وأماكنهم التى سيحتلونها فى النارّ يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجّنةأو النارّ..)[١] ومال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه .[٢] فقالُوا " كلّنا نكره الموت قال : (ليس ذلك بذاك .إن المؤمن إذا فرج له عمّا هو قادم عليه أحبّ لقاء الله وأحب الله لقاءه.[٣].

---

١ - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسّم عن علىّ موقوفا .
٢ - الأحياء ص٤ص٤٢٣.
٣ - الحديث متفق عليه من حديث عباده بن الصامت .

وقد وصف الله سبحانه و تعالى شدة الموت فى أربع آيات :-

الأولى ، قول الحق سبحانه (وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ...) (١).

الثانية ، (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ)(٢).

الثالثة ،قوله عزوجل (فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ) . (٣)

الرابعة ، قوله سبحانه ، (كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ) . (٤)

وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله إذا رضى عن عبد قال: ياملك الموت إذْ هَبْ إلى " فلان " فأتنى بروحه لأُريحه ، حسبى من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحبّ ، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائه من الملائكه ومعهم قضبان الر ّيحان وأصول الزعّفران كلّ واحد منهم يبشّره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكه صفيّين لخروج روحه معهم الريّحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ فيقول له جنوده : (مالك يا سيَّدنا .فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة ؟ !! أين كنتم من هذا ؟ قالوا قد جهدنا به فكان معصوماً" (٥)ويقول الحسن رضى الله عنه :- (لا راحة للمؤمن إلاّفى لقاء الله) ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى ، فيوم الموت يوم مسروره وفرحة ، وأمنه و عزّه و شرفه ، ولذلك ترى قلوب العارفيين بالله قد تقطعت نياط قلوبهم خوفاً من سوء العاقبة ، وحُقّ لهم الخوف فإن سوء الخاتمة من كُبْرَى الدوّاهى لَدىَ الموت .وقانا الله وإياكم سوء الخاتمة .

١- سورة ق الآية ١٩.
٢- سورة الأنعام الآية٩٣.
٣- سورة الواقعة الآية ٨٣.
٤- سورة القيامة الآية ٢٦.
٥- أخرجه ابن أبى الدنيا فى(كتاب الموت)من حديث (تميم الدارى) باسناد ضعيف .

مواقف للمؤمنين فى حالة الإحتضار :-

لما احتضر (أبو بكر) رضى اللّٰه عنه جاءت السيدة الفضلى "عائشة " رضى اللّٰه عنها فتمثلت بهذا البيت الشعرى .

لعمرك مايغنىعن الثرّاءعن الغنى إذا حشر يوماً وضاق بها الصّدور

فكشف (أبو بكر) رضى اللّٰه عنه عن وجهه وقال : (ليس كذا ولكن قولى " (وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ).. (١).

انظرواَ ثوْبّى هذين فاغسلوهما ، وكفّنُونِى فيهما فإن الَحَّى إلى الجديد أحْوَج من الميّت .ثم قالت رضى اللّٰه عنها :

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامَى عصمة للأرَامِل

فقال أبو بكر رضى اللّٰه عنه : " ذاك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم " ودخلوا عليه فقالوا له " (ألا ندُعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ فقال أبو بكر رضى اللّٰه عنه : (قد نظر إلىّ طبيبى فقال (إنى فعّالٌ لما أريد " و دخل عليه " سلمان الفارسى " رضى اللّٰه عنه لَعِوُده فقال : يا أبا بكر أوصنا .فقال : إن اللّٰه فاتحٌ عليكم الدّنيا فلا تأخذ منها إلاّ بلاَ غَكْ ، واعلم أنّ من صلّى الصبّح فهو فى ذمّة اللّٰه فلا تحقرنّ اللّه فى ذمته فيكبّك فى النّار على وجهك "(٢)..

وقال سعيد بن المسيَّب وهو أجد التابعين بل يعّد من الطبقة الأولى الفَتىَمن التابعين طيّب اللّٰه ثراه ، لما احتضر (أبو بكر) رضى اللّٰه عنهم فقالوا : يا خليفة رسول اللّٰه زوّدنا نرى ما بك يعنى فى حالة الاحتضار وَدَنوْتَ من الموت فقال لهم (أبو بكر) رضى اللّٰه عنه من فال هذه الكلمات ثم مات ، جعل اللّٰه روحه فى الأفق المبين قالوا : وما الأفق

١ - سورة ق الآية ١٩.
٢ - الأصابر ص٤ ص٤٣٣.

المبين ؟ قال أبو بكر : هو قاع بين يدى العرش فيه رياض اللّٰه وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول حبل اللّٰه روحه فى هذا المكان وهذا القول وتلك الكلمات هى (اللهّم إنّك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم فريقاً للسعّير ، اللّهم إنك خلقت الخلق وميزّتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيدا و غوّياً ورشيداً ، فلا تشقنى بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما عَلمِت ، فاجعلنى ممِن تستعمله بطاعتك ، الهم إن أحداً لا يُساءحتى تشاء فاجعل مشيئك أن أشاء ما يقربنى إليك ، اللهم إنك قد قدّرت حركات العباد ، فلا يتحرك شىء إلا بإذنك فاجعل حركاتى فى تقواك ، اللهم إنك خلقت الخير و الشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به، فاجعلنى من خير القسمين .

اللهم إنّك خلَقْت الجنةّوالنار ، وجعلت لكل واحد منهما أهلاً فاجعلنى من سكان جنتّك ، اللهم إنك أردت بقوم الضلال ، وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدرى بالايمان وزينةّ فى قلبْى ، اللّهم إنك دبرّت الأمور وجعلت مصيرها إليك ، فأحيينى بعد الموت حياة طيبّة ومَرّ بنى إليك زلفى اللهّم من أصبح و أمسى ثقته و رجاؤه غيرك ، فأنت ثقتى ورجائى ، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّٰه .قال أبو بكر رضى اللّٰه عنه هذا كله فى كتاب اللّٰه عزوجل .(١)

١ - ذاته ص٤٣٤.